

الى الرئيس لحدود

نصري سلهب

النهار ٢٠٠٠/١٢/٢٠

"تلك اكثر من جنائية، تلك غلطة"، C est un crime, c'est plus qu'un crime

هذه الكلمات هي لتلليان aley Rand وزير خارجية فرنسا في عهدي نابوليون الاول ولويس السادس عشر، ولقد قالها على اثر اغتيال دوق دانغان الذي خطفه "رجال" نابوليون من ارض غير فرنسية وساقوه الى فرنسا حيث حوكم صورياً وحُكم بالاعدام ونفذ فيه الحكم بسرعة مذهلة.

وفيما كان بعض السياسيين - ومنهم تلليان - يستعرضون ذلك الحدث، قال احدهم: "تلك جنائية"، فانبرى تلليان يقول: "تلك اكثر من جنائية. تلك غلطة". هذه الواقعة ذكرتها - مع حفظ النسب - بما جرى لـ "النهار" ولرئيس تحريرها. منذ بضعة ايام جرت في لبنان محاولة لاغتيال الحرية في شخص انسي الحاج. ومن حسن حظ لبنان ان المحاولة باءت بالفشل".

ليس مقالي هذا دفاعاً عن انسي الحاج، فقد خرج من تلك التجربة كبيراً. ولا عن "النهار" لأنها ازدادت اشراقاً ووهجاً. ولا عن الحرية لان الحرية تعبّ من صلبها عناصر خلودها.

وانما مقالي دفاع عن رئيس الدولة، العماد اميل لحود نفسه. ذلك ان الرجل في حاجة الى من ينقذه من نفسه. فنحن، في صدد ما جرى، امام واحد من احتمالين: اما ان الامر جرى بمعرفته، فتلك جنائية. وأما بغير معرفته، فتلك اكثر من جنائية، تلك غلطة.

من الشائع ان الرئيس لحدود محاط "بمستشارين" ميالين الى التدخل المباشر وغير المباشر بدوائر الدولة وسواها لابلاغها امنيات او توجيهات او اوامر... اولئك "المستشارون" معروفون، عادة "بالاشباح".

تلك العادة - عادة التدخل في الظلمة او العفن - درج عليها "الشباب" في عهد الرئيس فؤاد شهاب، رحمه الله. و"الشباب"، في عرف ذلك الزمان، كانت تعني عناصر "المكتب الثاني" الذين بلغوا، في ذلك العهد، أوج النفوذ والسلطان. غير انهم - اي "الشباب" - في نهاية المطاف، الحقوا بالرئيس شهاب نفسه وبالشهابية ضرراً معنوياً بليغاً.

فعندما فاز سليمان فرنجية بالرئاسة ضد الياس سركيس رحم الله الاثنين، دقت اجراس الكنائس في لبنان لا احتفاء بفوز فرنجية، ولا نكايه بالياس سركيس شخصياً، بل فرحاً وابتهاجاً بنهاية "امبراطورية" المكتب الثاني. ولوحظ ان اول اجراء اتخذته حكومة الرئيس صائب سلام، في اول جلسة مجلس وزراء لها، هو حلّ المكتب الثاني، ونفي معظم ضباطه الى اقاصي الارض.

ويجمع المحللون السياسيون على ان "دعم" المكتب الثاني للياس سركيس كان السبب الرئيسي لفشله.

في الواقع ان الرئيس فؤاد شهاب، رحمه الله، انتخب رئيساً للجمهورية عام ١٩٥٨، غداة الاحداث الغنية عن التعريف، فتسلم مهمات الحكم، ضعيفاً، اذ ان التيار المسيحي في لبنان - المتمثل بالرئيس كميل شمعون وبالعميد ريمون اده - كان يناصره العداء بشكل سافر.

لهذا السبب رأى الرئيس شهاب - وهو قائد الجيش الاسبق - ضرورة الاستعانة بالمكتب الثاني الذي اصبح، من جراء ذلك، الساعد الايمن للرئيس والقوة غير المنظورة التي تسانده في وجه معارضيه الشمعونيين والادبيين. ولقد اتضح، على مر الزمن، ان المكتب الثاني أصبح سلاحاً ذا حدين، وان اضراره فاقت منافعه. يبدو، مما يشاع ويردد، ان العماد اميل لحود سلك، بصورة مبدئية الاسلوب الذي اعتمده الرئيس شهاب. ذلك هو خطأه الكبير... حتى لا نقول غلطته الكبرى.

ان الرئيس لحود، خلافاً للرئيس شهاب، وصل الى الرئاسة قوياً، بل قوياً جداً. كان، قبيل انتخابه، محاطاً بهالة كبرى جعلت الشعب اللبناني - الاقلية قليلة منه - يرحب به ويتوسم فيه الخير العميم، عاقداً عليه كبرى الآمال. وعندما القى خطاب القسم قفز الى القمة. فضلاً عن الدعم السوري المطلق الذي حظي ولا يزال يحظى به. فهو لم يكن بحاجة للاجهزة، ولا "للاشباح" ولا لشيء من ذلك.

فللرجل مييزات ومواقف تتبع من ذاته جعلته وتجعله يتمتع بصدقية كبرى وينعم بثقة الكثرة الكثيرة من اللبنانيين. فماذا دهاه؟ اتراه، من حيث لا يدري ولا يريد، قد غدا اسير الاشباح؟! اترى تلك الاشباح قد اصبحت عنده ذات نفوذ لا قبل له برده؟!!

والا كيف نفسر ما جرى لـ "النهار" ولانسي الحاج بالذات؟ فالرئيس لحود، في رأي عارفيه، رجل شرف. فكيف اجاز ما جرى وقد سبق له واعلن انه سوف يكون، هو شخصياً، ضمان الحريات في لبنان، وانه لن يسمح باساءة معاملة صحافي من اجل رأي يُبديه؟ ليس سهلاً عليّ ان اقتنع بان الرئيس لحود يتنكر لعهد قطعه. ولهذا السبب اقول له، بكل محبة وبساطة: "يا فخامة الرئيس. كن منّ انتَ لا ما يرادُ لك ان تكون. كن حامي الحريات. كن ضماناً للكرامات. كن أباً لجميع اللبنانيين، بقطع النظر عن ميولهم، ومواقفهم... ليكن لبنان، بالنسبة اليك، عائلة كبرى ترعاها بالمحبة والعطف. أنبذ من قلبك الاحقاد والضغائن، فهي ليست من خلقك. تصالح مع كل لبنان.

ولا تسمح لاحد، مهما عظم شأنه، ان يعتدي على الحريات. واذكر كلام السيد المسيح لرسله: "من اراد ان يكون فيكم رئيساً فليكن خادم الكل".